Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Studies No – (65) .July 2024
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy
E-ISSN: 2616-9843/ P-ISSN: 2616-9835

Ra'eyyat Omar Ibn Abi Rabia'ah Pragmatism approach

*Ms. Zainab Ezzat Al-Saadi**

PhD student, April 9 University of Tunis, Tunisia.

Oricd No:2704-0000-0009 -8803

Email: Zezaat903@gmail.com

Received:
10/03/2024

Revised:
11/03/2024

Accepted:
20/04/2024

***Corresponding Author:**
Zezaat903@gmail.com

Citation: Al-Saadi, Z. E. Ra'eyyat Omar Ibn Abi Rabia'ah Pragmatism approach. Journal of Al-Quds Open University for Humanities and Social Studies, 6(65). Retrieved from https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/4746

DOI:10.33977/0507-000-065-010

2023©jrresstudy. Graduate Studies & Scientific Research/Al-Quds Open University, Palestine, all rights reserved.

- **Open Access**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract

Pragmatics, as a critical field, includes, in addition to the text, its creator and its recipients, as well as its environment and time. Thus, it serves as a comprehensive framework encompassing these elements. This research focuses on studying the famous vision of Umar ibn Abi Rabi'ah within the framework of pragmatics, in an attempt to uncover the text's indications and delve into its depths through analysis according to the descriptive-analytical method and within the contexts that the concept of contextual pragmatics.

Objectives of the study: Analysis of Omar bin Abi Rabi'ah's opinion based on a ruling on pragmatics, hukmiyyat al-hukm, and ruling

Methodology: This research came in two sections: The first: The general foundational frameworks for pragmatics and speech acts. The user: The contextual membership in the vision of Omar bin Abi Rabia. The results of this research were as follows:

Results: 1. Omar bin Abi Rabia's narrator carries semantic dimensions that cannot be understood outside the pragmatic understanding that includes the elements of the discourse.

2. Through pragmatic analysis of texts, It is possible to reveal the text's references, metaphors, and ambiguities.

Conclusion: The research focused on understanding the opinion of Omar bin Abi Rabia in the context of pragmatics and the theory of speech acts, and concluded with a number of results and recommendations.

Keywords: Pragmatics, discourse, Omar bin Abi Rabia.

رائيَّةُ عُمَرَ بنِ أَبي رَبيعَة: مُقارَبَةٌ تَداوُلِيَّة

*أ. زَيْنَب عِزَّتْ السَّعْدِيّ**

طالبة دكتوراه، جامعة 9 أفريل تونس، تونس.

الملخص

تتَّسع التداوليَّة بوصْفها فضاءً نقديًا لتشمل – بالإضافة إلى النَّص– مُنْشئِهِ ومتلقِّيه، فضلًا عن بيئته وزمانه، وهي بذلك تُعَدُّ إطارًا شاملًا تنضوي تحته تلك المفردات، وقد اعتنى هذا البحث بدراسة رائيَّة عُمرَ بنِ أبي ربيعة الشهيرة في إطار التداوليَّة، في محاولة للكشف عن إشارات النَّصِّ، وسبْر أغواره عبر تحليله وفقًا للمنهج الوصفيّ – التحليليّ، وفي إطار السياقات التي يُفضي إليها مفهوم التداوليَّة السياقيَّة.

أهداف الدراسة: تحليل رائيَّة عُمرَ بن أبي ربيعة وفقًا للتداوليَّة ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة.

المنهجيَّة: لقد جاء هذا البحث في مبحثيْن:

- **الأوَّل**: الأُطُر النظريَّة العامَّة للتداوليَّة والأفعال الكلاميَّة.
- **الثاني**: التداوليَّة السياقيَّة في رائيَّة عمر بن أبي ربيعة. وقد كانت نتائج هذا البحث كما يأتي:

النتائج:

1. تحمل رائية عمر بن أبي ربيعة أبعادًا دِلاليَّةً لا يمكن فهمُها خارج الفهْم التداوليِّ المُتضمِّن لعناصر الخطاب.
2. يُمكن عبر التحليل التداوليِّ للنُّصوص الكشف عن إشارات النَّصِّ، واستعاره وغموضه.

الخلاصة: اعتنى البحث بفهم رائيَّة عمر بن أبي ربيعة في سياق التداوليَّة ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة، وخَلُصَ إلى عددٍ منَ النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحيَّة: التداوليَّة، الخطاب، عُمر بن أبي ربيعة.

المقدمة

لقد قدَّمت الدِّراسات التي قامت على التداوليَّة ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة فهمًا غير تقليديٍّ لكثيرٍ منَ النُّصوص التي تسبَّبَ الفهم المباشر والظاهريُّ لها بتبايُناتٍ دِلاليَّةٍ أفلتتْ عقال التأويل، وجعلت الباب مفتوحًا لِلَيِّ النصوص وتطويعها، بدلًا من النظر إليها في سياق] حقيقيٍّ يجعل فهمَها أيسر وأكثر موضوعيَّة. ولا تسعى التداوليَّة بحال إلى إلغاء عناصر فهْم الكلام الأساسيَّة؛ فهي لا تُغفل المستوى التركيبيَّ والمعجميَّ والأسلوبيّ؛ لكنَّها تفترض أنَّ الكلام يحمل رسالةً، وأنَّ لهذه الرِّسالة عناصرَ لا يُمكن إغفالُها في أثناء محاولة فهْم الكلام، وهي تتمثل بشكلٍ رئيس في مُنشئ الكلام ومتلقِّيه وبيئته.

سبب اختيار الموضوع:

1. الخروج منْ دائرة الفهم التقليديِّ للنُّصوص الشعريَّة وإشاراتها المبطَّنة.
2. توسيع مناهج التحليل الأدبيّ للنصوص، وتجربة ما هو غير تقليديّ.

مشكلة البحث:

يُمكن عرض مشكلة هذا البحث عبْر سؤالٍ مفادُه: كيف يُمكنُ فهْم الاستعارات والكنايات والأساليب الواردة في رائيَّة عمرَ بنِ أبي ربيعة في سياق التداوليَّة؟

ويتفرع عن هذا السؤال:

- ما دلالات الأفعال الكلاميَّة الواردة في رائيَّةِ عُمرَ بنِ أبي ربيعة في سياق التداوليَّة؟
- ما أبرز الأساليب البلاغيَّة الواردة في الرائيَّة وانزياحاتها الدِلاليَّة؟

أهداف الدِّراسة:

- تحليل رائيَة عمر بن أبي ربيعة وفقًا للتداوليَّة ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة.

أهميَّة الدِّراسة:

- إنَّ البحث في هذا الموضوع يكتسب أهميَّة خاصَّة، تظهر من خلال تسليطه الضوْءَ على مفهوم التداوليَّة، وربطها بالنصوص الأدبية، في محاولةٍ لفهْم سياقاتها بطرُق غيْر تقليديَّة.

الدِّراسات السابقة:

لا بُدَّ منَ الإشارة إلى الجهود والدِّراسات السابقة التي بُذلَتْ بخصوص هذا الموضوع، منها:

- نظريَّة الأفعال الكلاميَّة وإعادة قراءة التراث العربيّ: عمر بلخير، مجلَّة الأثر، عدد خاصّ أشغال الملتقى الدوليّ الثالث في تحليل الخطاب، الجزائر، ج1، ص 67–75؛ حيث هدفت الدراسة إلى بيان الأساليب التي طُبِّقتْ عليها نظريَّة الأفعال الكلاميَّة على الموروث اللغويِّ والأدبيّ بخاصَّة، والموروث المعرفيّ العربيّ بصفةٍ عامَّة، وتناولت الدراسة النظرية العربية في دراسة الأفعال الكلامية، وقد خلُصتْ الدراسة إلى أنَّ الأساليب الإنشائيَّة عند العرب شكَّلتْ حجرَ الأساس في الدِّراسة الأصوليَّة والنحْويَّة والبلاغيَّة، كما أكَّدتْ فضلَ الفلاسفة في التعريف بهذا الجانب من اللُّغة.
- الأبعاد التداوليَّة في توجيه الخطاب الدعويّ في القرآن الكريم: محمد بن بوفلجة، مقاربة في آليات الحِجاج وبلاغةِ الإقناع، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، الجزائر. (2019). هدفت الدِّراسة إلى رصد الأبعاد التداوليَّة في القرآن الكريم، من خلال الوقوف على بعض النماذج في القَصَصِ القرآنيِّ الدَّالَّة على هاتِه الأبعاد، وتحليلها تحليلاً تداوليًّا مبنيًّا على توظيف نظريتيْ الحِجاج والأفعال الكلاميَّة، وخلُصَت الدراسة إلى أنَّ الخطاب الدعويَّ في القرآن الكريم خطابٌ شاملٌ لمناحي الحياة جميعها، وأنَّه يهدف إلى إصلاح الجوانب العقديَّة والسلوكيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة في حياة الفرد والمُجتمع.
- النظريَّة التداوليَّة وأثرها في الدراسات النحويَّة المُعاصرة: أحمد شاهين/ عالم الكتُب الحديث، الأردن. (2015) هدفت الدراسة إلى إيضاح المنهج التداوليّ وأثره في النحو العربيّ، وقد استخدم الباحث المنهجيْن: الوصفيّ والتحليليّ، بالإضافة إلى المنهج المقارن، وذلك بوصف الممارسات التداولية في التراث العربي وتحليلها، ثم وصف المنظور التداولي وتحليله لدى أصحاب هذا المنهج من الغربيين، ومقارنته بمنهج دعاة التداولية العرب المحدثين، وقد انتظمت الدراسة في ثلاثة

فصول مسبوقة بمقدمة وتمهيد. وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ ما جاء به النُّحاة العرب المُحْدثون في جزءٍ من دراستهم للنحو العربيِّ من منظورٍ تداوليّ، كان مجرد إعادة صياغة لمجموعةٍ من المصطلحات النحوية الواردة في كتب النحاة القدماء.

منهج الدِّراسة:

اعتمدت على:

1. المنهج الوصفيّ والمنهج التحليليّ.
2. نظريَّة التداوليَّة والأفعال الكلاميَّة.

مصطلحات الدِّراسة:

- **التداوليَّة:** هي جزءٌ منَ اللِّسانيّات الحديثة يُعنى بفهْم آليَّة إنتاج الفعل التواصليّ، وكيفيَّة فهْم الخطاب المكوَّن منْ مُرسِلٍ في سياقٍ ما إلى مُستقبِلٍ ما.
- **الخطاب:** هو اللفظ المتواضَعُ عليْه، المقصود به إفهام مَنْ هو متهيِّئ لفهْمه.

خطَّة الدِّراسة:

اشتمل هذا البحث على مقدِّمة، ومبحثيْن وخاتمة، شملت النتائج والتوْصيات.

المبْحث الأول: الأُطُرُ النَّظريَّةُ العامَّة للتداوليَّة والأفعال الكلاميَّة:

يُجمِعُ الباحثون على كوْن التداوليَّة جزءًا منَ اللسانيّات الحديثة يُعنى بفهْم آليَّة إنتاج الفعل التواصليّ، وكيفيَّة فهْم الخطاب المكوَّن من مُرسِلٍ في سياقٍ ما إلى مُستقبِلٍ ما، وتحاول التداوليَّة أنْ تتفرَّد بفهم الخطاب عبر ربطِه بواقعٍ يُراعي خصائص عناصر الخطاب آنفة الذكر، واضعة في اعتبارها أنَّ الكلام يتجاوز حدوده اللفظيَّة ومعانيه المُعجميَّة، ويتخطاها إلى ما هو أبعد من ذلك، من أنَّه يشكِّل فعلًا في ذاته، وقد ارتبطت التداوليَّة ارتباطًا وثيقًا بنظريَّة الأفعال الكلاميَّة؛ فهي تدعم الأساس النظريَّ للتداوليَّة القائم على أنَّ وظيفة اللغة أبعد من التواصُل، وأبعد من الإخبار.

وتتداخل التداوليَّة بوصفها سياقًا لدراسة النُّصوص مع علوم لغويَّة أخرى، مثل: علْم اللغة الاجتماعيّ، وعلْم اللغة النفسيّ، والبلاغة، وغيرها، ويمكن إرجاع ذلك إلى نزوعها عن تقليديَّة الدِّراسات اللغويَّة واللسانيَّة، وبحثها فيما يمكن وصفه مكوِّنات خارجة عن المكوِّنات اللسانيَّة للنَّص؛ بل إنَّها تنحى منحىً فلسفيًا يجعل الإحاطة بمفهومها كسياقٍ لدراسة النصوص أكثر غموضًا. يمكن القول إنَّه ليس ثمَّة تعريفٍ يُجمِعُ عليه الباحثون للتداوليَّة، وذلك بسبب تداخلاتها مع علوم مختلفة، وتشعُّباتها التي تجعل الإحاطة بمفهومها ضمن تعريفٍ جامعٍ أمرًا عسيرًا (شاهين، 2015: 8)، لكنَّ بعض الذين حاولوا الوصول إلى تعريفٍ لها ذهبوا إلى وظيفية اللغة، وإخراجها من سياقها التركيبيِّ إلى سياقٍ غيْرِ لغويٍّ لفهْمها، وذهب آخرون إلى أنَّها تُعنى بما أهملتْه النظريَّات الدِّلاليَّة من جوانب المعنى، واقتصارها على ما ينطبق فيه شرط الصدق، وذهبوا كذلك إلى أنَّها تُعنى في الكشف عن آليَّة فهْم السامع مقاصد المتكلم (نحلة، 2002: 11-13).

ومهما يكن منْ أمر تلك التعريفات واختلافاتها، إلَّا أنَّ الخيْط الذي يربطها يتمثل في سعيها إلى جعل التداوليَّة معنيَّة بالسياق الواقعيِّ للكلام، وهو ما يمكن معه تحييد الدِّلالة المعجميَّة الجامدة، ودمج اللغة ضمْن مكوِّنات الحالة الكلاميَّة وعناصرها، وهو ما تؤيده الباحثة، وترى أنَّه أكثر ما يمكن وصف التداوليَّة به (شاهين، 2015: 11).

وإلى جانب التداوليَّة ظهرتْ ما تُعرف بنظريَّة الأفعال الكلاميَّة، على يد الفيلسوف (أوستين) وهي الدّعامة الرئيسة في الدراسات التداولية، وتعني الأفعال الكلاميَّة: "كلّ ملفوظٍ ينهض على نظامٍ شكليٍّ دِلاليٍّ إنجازيٍّ تأثيريّ، وعلاوة على ذلك، فهو يُعَدُّ نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسّل بأفعالٍ قوليَّةٍ إلى تحقيق أغراضٍ إنجازيَّةٍ (كالطلب والأمر والوعد والوعيد..إلخ)، وغاياتٍ تأثيريَّةٍ تخصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومنْ ثَمَّ فهو فعلٌ يطمح إلى أنْ يكون ذا تأثيرٍ في المُخاطَب اجتماعيًا أو مؤسَّساتيًا، ومنْ ثَمَّ إنجاز شيءٍ ما" (علوي، 2011: 51).

وتقوم نظريَّة الأفعال الكلاميَّة على أنَّ الفعلَ الكلاميَّ: "مركَّبٌ منْ ثلاثة أفعال تؤدّى في الوقت نفسِه الذي ينطق فيه بالفعل الكلاميّ؛ فهي ليستْ أفعالًا ثلاثة يستطيع المتكلِّم أنْ يؤدِّيها واحدًا وراء الآخر؛ بل هي جوانب مختلفة لفعلٍ كلاميٍّ واحد". (نحلة، 2015: 68).

المَطلبُ الأوّل: التداوليَّة وعلاقتُها بلسانيَّات اللُّغة:

احتلت الدِّراسات اللسانيَّة التقليديَّة (التركيب والدِّلالة والأسلوبيَّة والنحو الوظيفيّ) مساحاتٍ واسعةً منْ مجال البحث اللغويِّ المُعاصر نظرًا لتقدُّمها الزمنيِّ على التداوليَّة التي لم تظهر إلا متأخِّرةً عنها عند الفيلسوف الأمريكي (موريس) سنة 1938م؛ حيث أصَّل لمفهومها بوصفِها جزءًا من السيميائيَّة التي تدرس العلاقات بين العلامات ومستعمليها، وتشكّل البُعدَ الثالث للُّغة، إلى جانب كلٍّ منَ التركيب والدِّلالة (أرمينكو، دت: 30).

وبوصْفِ التداوليَّة قد غدتْ أحدَ الركائزِ الأساسيَّة في فهْم الكلام، فإنَّ مهمَّة التداوليَّة الرئيسة تقع في دائرة فهْم اللُّغة في مقاماتها الاستعمالية؛ إذ: "تهتمُّ الدراسات التداوليَّة (البراغماتيَّة Pragmatics) بتتبُّع المعنى عبْر مجموعةٍ منَ العناصر التي تُسهم بشكلٍ ساطعس أو باهتٍ في إبرازه، وذلك بالنَّظر إلى مُنتجِه ومُتلقّيه وسياقاتِه المختلفة التي قيلتْ فيه، والغاية التي منْ أجلِها أنشِئَ الكلام" (العيسوي، 2015: 157).

ولا يُمكن للتداوليَّة وحدَها أنْ تقوم بفهم اللغة بمعزلٍ عن الأبعاد الأخرى لفهْم اللغة؛ إذْ منَ البدَهيِّ أنَّنا نحتاج إلى دراسة اللُّغةِ تركيبيًا ودِلاليًا، لكنَّ التداوليَّة تحاول مُقاربة الفهم باللجوء إلى الحدِّ الأدنى من التركيب والدِّلالة، وإفساح المجال أمام فرضيَّاتها بالنظر إلى المُرسل والمتلقّي ومَقام الرِّسالة، وهي غير قادرة بحالٍ من الأحوال على الاكتفاء بنفسِها عن البُعد التركيبيِّ والدِّلاليّ، وكذلك الحال بالنسبة لهما؛ فالتركيب: "يُعنى بدراسة العلاقات الشكليَّة بين العلامات بعضها مع بعض" (نحلة، 2002: 13). لكنَّ البُعد التركيبيَّ القائمَ على المستوى النحويِّ للُّغة يعتمد على المعنى العامّ للنَّص ليضبطَ سلامةَ التركيب اللغويّ، لكنَّه لا يتجاهل البُعد التداوليّ، لأنَّ: " العلاقات القواعديَّة التي تسيطر على نصٍّ ما، وتتحكم في عمليَّة البناء اللغويّ منْ خلال ترابُط عناصره التركيبيَّة، ليستْ إلا خطوةً أولى في عمليَّة التفسير، والفهم التداوليّ المُرتكز بالأساس على مجموعةٍ منَ العناصر التي تقتضي بالمُحلِّل اللغويِّ أنْ يتجاوزَ حدودَ المادَّة اللغويَّة، إلى ما يحيط بها من مُلابساتٍ وقرائنَ خارجيَّة". (شاهين، 2015: 425)

ومن أمثلة ذلك في الاستخدام اللغويّ: أنا مُتْعَب؛ إذْ إنَّ الاعتماد على فهم التركيب النحويِّ والمعنى العامّ للجُملة ربما لا يفضي إلى دِلالتها الحقيقيَّة؛ بل إنَّه يحصرُها في المعنى العامّ للتَّعب الناجم عن الإجهاد البدنيّ؛ فالجملة في المستوى النحويِّ خبريَّةٌ مكوَّنةٌ منْ مبتدأ وخبر، لكنَّ فهمَها في البُعد التداوليّ يفتح آفاقًا أخرى من الدِّلالات؛ فقد يكون الهدف من الجملة طلبًا ضمنيًا بالتوقف عن الحديث، أو إشارةً إلى تعَب نفسيّ، أو يحمل دِلالةً لتجنُّبِ أمرٍ قد يُفضي إليه سياقُ الكلام، هذه الاعتبارات في السياق التداوليِّ كلُّها مطروحة، ولذلك فإنَّ البُعد التداوليَّ لفهمْ اللُّغة يؤكّد وجوب الإحاطة بعناصر الخطاب: المُرسِل والمتلقّي والمَقام.

وكما هو الحال بالنسبة للبُعد التركيبيِّ للُّغة، فإنَّ البُعد الدِّلاليَّ يُعنى بدراسة المعنى، "والشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمْل المعنى" (عمر، 1998: 11)، وبالرّغم منَ التقاطُع مع البُعد التداوليِّ في السَّعيِ نحو فهم المعنى إلّا الفارقَ الجوهريَّ بين البُعد الدِّلاليِّ والبُعد التداوليِّ يكمُن في أنَّ الأول يسعى إلى فهم المعنى الحرفيِّ بعيدًا عن السياق العامّ، وطبيعة المُرسِل والمتلقّي ومَقام الرِّسالة، فيما يهتمُّ الثاني بفهم المعنى في الاستعمال اللغويِّ، ويُراعي عناصرَ الخِطاب.

ومن الأمثلة التي توضِّح ذلك: ضَعْ يَدَكَ في يَدي: يظهر في المستوى الدِّلاليِّ لفهْمِ هذه الجملة أنَّ المقصود هو طلب وضْعِ اليّدِ الماديّ للمُخاطب في يَدِ الطالب، وهذا الفهْم الحرفيُّ لدِلالة اللغة قد يكون بعيدًا كلَّ البُعد عن الفهم التداوليِّ لها؛ فمنَ المعاني المحتمَلة، طلب التعاون على أمرٍ بيْن المُرسل والمتلقّي، قد يكون من باب طلب المُرسل وحاجته للعوْن، وقد يكون من باب إدراكِه حاجةَ المُخاطب وعرضِ العوْن عليه؛ لأنَّ "الفرق بين المعاني اللغويَّة ومَقاصد المتكلِّمين (أو مُراداتهم) وثيقُ الصِّلة بالفرق بيْن علْم الدِّلالة وعلْم التَّخاطُب؛ فالمعاني (التي هي معانٍ وضعيَّة تُفهم منْ مفردات اللغةــ وتراكيبها) تنضوي في إطار اهتمامات علْم الدِّلالة؛ لأنَّ استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البِنى اللغويَّة. أمَّا مَقاصد المتكلِّمين فلا يمكن التوصُّل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المُخاطِب والمُخاطَب، وإعمال القدرات الاستنتاجيَّة التي يمتلكها المُخاطَب عند التعامل مع الكلام" (علي، 2004: 15). وهنا تظهر أهميَّة اعتبارات التداوليَّة في فهم الخطاب.

وبيْن الأسلوبيَّة والتداوليَّة ثمَّة تقاطع في سعيهما إلى الكشف عن المعنى، إلا أنَّ الأسلوبيَّة تنحاز إلى الحُكم على جماليَّة المعنى ومدى فنيَّة اللغة، مُستخدِمةً قواعد اللغة في الوصول إلى ذلك، وتُعرَّفُ الأسلوبيَّة كما يراها (جاكبسون)، بأنَّها: "بحثٌ عمَّا يتميَّز به الكلام الفنِّي عن بقيَّة مستويات الخطاب أولًا، وعن سائر أصناف الفنون ثانيًا" (المسدي، 1982: 37)، ويكمن الاختلاف بين التداوليَّة والأسلوبيَّة في نظرتهما إلى الخطاب في شموليَّة التداوليَّة في التعاطي مع سائر النُّصوص على اختلاف مَنشئها ومُتلقّيها

وسياقاها العامّ، في حين ينحصر تعاطي الأسلوبيَّة مع النصوص التي تحمل طابعًا فنّيًا، وتستثني العاميَّةَ والشفويَّةَ والكلامَ الذي لا يحمل أبعادًا فنّيَّة.

ومن الأمثلة على ذلك:

- أمط اللثام عن وجهك.
- بسخرية مستفزة: هه

يُعَدُّ الحوار السابق مثالًا على ما ترفض الأسلوبيَّة التعاطي معه بوصفِه كلامًا لا يحمل سمة فنّيّة؛ بل ربّما لا تعترف الأسلوبيَّة بالرموز الصوتيّة التي تحمل دِلالاتٍ سياقيَّةً؛ لأنَّها لا تحمل معنىً في ذاتها، ولكنْ لو كان الحوار السابق بصيغة:

- أمط اللثام عن وجهك
- بنظرة لامعة: أخشى على وجهي من سحر عينيك

سيكون محلَّ اهتمامٍ على المستوى الأسلوبيِّ لاحتماله وجهًا فنيًا، واكتمال أركانه اللغويَّة؛ فالاتجاهات الأسلوبيَّة تتَّفق على أنَّ "المدخل في أيّة دراسة أسلوبيَّة ينبغي أنْ يكون لغويًا؛ فالأسلوبيَّة تعني دراسة نصِّ الخطاب الأدبيِّ منْ منطلَقٍ لغويّ"(سليمان، 2004: 36).

أما عنْ علاقة التداوليَّة مع وظيفية النحو فإنَّ الدراسات النقديَّة للأساليب اللغويَّة ترى أنَّ النحو الوظيفيَّ والتداوليَّة متقاطعان في نظرتهما إلى الوظيفة الكليّة للُّغة؛ فكلاهما يهدف إلى وصف قدرة اللُّغة على التوصيل، وفي النحو الوظيفيّ فإنَّ "الدّلالة والتداول يشكلان مستوييْن يتضمَّنان كلَّ المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبيَّة المحدَّدة لرتبة المكوِّنات، وحالاتها الإعرابيَّة، وغير ذلك منَ الخصائص التركيبية؛ ففي النحو الوظيفيّ مثلاً، تُجرى " قواعد التعبير" القواعد التركيبية الصرفة على أساس المعلومات المتوفرة في "البِنية الوظيفيَّة"، أيْ البنية التي تتضمَّن التأشير للخصائص الدّلالية والتداوليَّة"(المتوكل، 2010: 53). وقد أفاد النحو الوظيفيُّ كثيراً منَ التداوليَّة؛ إذ اهتمَّ بالكلام كتأديةٍ وممارسةٍ فعليَّةٍ للُّغة، مركِّزاً على طرفي العمليَّة التواصليَّة: المتكلِّم والمتلقّي والعلاقات التي ترتبط بينهما في أثناء عمليَّة التواصل، وعليه، فإنَّ على النحو الوظيفيّ في إطار مفهوم الكفاية التداوليَّة كما يراها (ديك) "أنْ يستكشف خصائص العبارات اللغويَّة المرتبطة بكيفيَّة استعمال هذه العبارات، وأنْ يتمَّ هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكُم التواصل اللغويّ، يعني هذا أنَّه يجب ألّا نتعامل مع العبارات اللغويَّة على أساس أنَّها موضوعات منعزلةٌ؛ بل على أساس أنَّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنىً معيَّن في إطار سياقٍ تحدِّده العبارات السابقة، وموقفٌ تحدِّده الوسائط الأساسيَّة لموقف التّخاطُب"(المتوكل، 2006: 64).

إنَّ تقاطُعات التداوليَّة مع مستويات اللسّانيّات الأخرى يكسبها أهميّةً إضافية؛ فهي لا تستثني تلك المستويات، بل إنَّها تُبقيها جزءًا منها تستند إليه في فهْم الخطاب، كما أنَّها هي نفسها تبدو جزءًا منها في جوانب مختلفة، كما هو الحال في النحو الوظيفيّ.

المطلب الثاني: نظريَّة الأفعال الكلاميَّة:

لا تكاد تخلو مقدِّمة أيِّ حديثٍ عن التداوليَّة من الحديث عن الأفعال الكلاميَّة بوصفها ركيزة أساسيَّة قامت عليها التداوليَّة، وبشكل مختصَر فإنَّ واضع نظريَّة الفعل الكلاميّ هو الفيلسوف (أوستين) وتلميذه (سيرل)، الذي أضاف إلى هذه النظريَّة وطوَّرها، ويقصد بالفعل الكلاميِّالإنجازَ الذي يؤدِّيه المتكلِّم بمجرَّد تلفُّظه بملفوظاتٍ معيَّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة، ... وغيرها، ويعني هذا أنَّ المتكلِّمَ عندما يتلفَّظ بقولٍ ما فإنّه يحقِّق إنجازاً فعليّاً يكون متحققاً على أرض الواقع لغرض التواصل مع المتلقّي أوّلاً، ومن ثمَّ يحقِّق إنجازاً وتأثيراً وانطباعاً في نفسه ثانياً، وبذلك فإنَّ اللُّغة ليست مجرد أداةٍ للتواصل أو وسيلة للتخاطُب كما تتصورها المدارس الوظيفيَّة، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليديَّة التحويليَّة، وإنّما هي أداةٌ لتغيير العالم وصنع أحداثه، والتأثير فيه، وتغيير السلوك الإنسانيّ عبْر مواقفَ كُليَّة.

يرى (أوستن) أنّ الفعل الكلاميَّ يتكوَّن منْ ثلاثة أفعال تُعَدُّ جوانبَ مختلفةً لفعلٍ كلاميٍّ واحد، هي:

1. الفعل اللفظيّ (فعل الكلام) أو (فعل القول): ويُقصد به النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات؛ أيْ إحداثُ أصواتٍ على أنحاء مخصوصة متّصلةٍ على نحوٍ ما بمُعجمٍ معيَّن، ومرتبطةٍ به، ومتمشيَّةٍ معه، وخاضعةٍ لنظامه.
2. الفعل الإنجازيّ (قوة فعل الكلام) أو (الفعل المتضمّن في القول): ويُقصد به إنجاز فعلٍ في حال قولِ شيءٍ ما، مع مراعاة مقتضى المقام.

3. الفعل التأثيريّ (لازم فعل الكلام) أو (الفعل الناتج عن القول): والمقصود به الأثر الذي يتركه المتكلِّم في نفس المتلقي؛ لأنّ قول شيء ما قد يترتب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرُّفاته من قبولٍ أو غضبٍ أو حزنٍ أو فرح .. إلخ. (بوجادي، 2009: 24)

ووفْقًا لـِ(سيرل) فإنَّه يُمكن تصنيف الأفعال الكلاميَّة إلى:

1. الإخباريَّات.
2. التوجيهيَّات.
3. الالتزاميَّات.
4. التعبيريَّات.
5. الإعلانيَّات. (نحلة، 2002: 78-80)

ويشترِطُ (أوستين) لنجاح الفعل الكلاميّ، توفُّر مجموعة من عناصر السياق، أدرجها في مفهوم شروط النَّجاح، وهي عوامل ترتبط بالحالة النفسيَّة للمتخاطِبين، وبقدرة هؤلاء على تحقيق ما يتلفَّظون به، وكذا الأنماط القانونيَّة التي تسمح بتحقيق الأفعال دون أخرى؛ تجدر الإشارة إلى أنَّ (أوستين) في بداية محاضراته، قد ميَّز بين الأقوال التقريريَّة والأقوال الإنجازيَّة، وهو تقسيمٌ نجد له أثراً عند البلاغيّين وعلماء الأصول العرب القدامى، ممّا جعَلَنا نقول في مرحلة أولى أنَّ (أوستين) قد استمدَّ أسُس تقسيمه من الدِّراسات العربيَّة القديمة للُّغة، عملاً بالمقولة: أنَّ المعرفة الإنسانيَّة الحاليَّة ما هي سوى استمرار للمعرفة السابقة، والحضارة الحاليَّة قامتْ باتِّصالها مع الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة في الأندلس، وهي نفسها الحضارة التي أعادت الفكر الفلسفيَّ اليونانيَّ إلى الوجود، وقدَّمتْه على طبقٍ منْ ذهب للأوروبيين، وفي مرحلةٍ ثانيةٍ اكتشفْنا في أثناء قراءتنا لأعمال الدكتور طه عبد الرحمن أنَّ مصدر هذا التقسيم الثنائيِّ للكلام الإنسانيِّ عند العرب القدامى هم الإغريق، ومنَ المؤكَّد أنَّه لا يمكن التحقُّق منْ مدى صحَّة هذه المقولة، لكنَّ سياق هذه المُداخلة لا يسمح لنا بالتعمُّق فيها، لذا، نتركها لبحثٍ آخرَ مُستقبلا. (بلخير، عمر، نظريّة الأفعال الكلاميَّة وإعادة قراءة التراث العربيّ، مجلَّة الأثر، عدد خاصّ أشغال الملتقى الدوليّ الثالث في تحليل الخطاب، الجزائر، ج1، ص 67-75)

ويرى (سيرل) أنَّ الفعل الكلاميَّ مرتبط بمقاصِد المتكلِّم، وبالأعراف اللغويَّة والاجتماعيَّة لاستعمال اللُّغة، وأنَّ الفعل الإنجازيَّ هو الوحدة الصغرى للاتِّصال اللغويّ، وأنَّ للقوَّة الإنجازيَّة دليلاً يسمَّى (دليل القوَّة الإنجازيَّة)، يبيِّن لنا نوع الفعل الإنجازيّ الذي يؤدِّيه المتكلِّم بنطقه للجملة، ويتكون هذا الدليل أو المؤشر من خصائص نحويَّة تتَّضح في نظام بناء الجملة، كما يتكوَّن – بالإضافة إلى ما سبق– من خصائص صوتيَّة نطقيَّة، كالنَّبْر والتنغيم في اللغة المنطوقة، وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة؛ فالفعل الكلاميُّ عند (سيرل) إذنْ أوسع من أنْ يقتصر على مراد المتكلِّم؛ بل هو مرتبطٌ أيضاً بالعُرف اللُّغويِّ والاجتماعيّ. (الصراف، 2010: 51)

وقد بذل (سيرل) جهدًا كبيرًا في سبيل ضبط الأفعال الإنجازيَّة؛ فقد أوضح من خلال هذه المعايير أنَّ الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة ليست على نمطٍ واحد؛ بل تختلف وتتنوع بحسب بِنيتها، وبحسب السياق الذي ترِدُ فيه، كما سعى إلى بيان الفروق والاختلافات بين هذه الأفعال الإنجازيَّة، لا سيَّما تلك الأفعال المتقاربة أو المتشابهة في الغرض الإنجازيّ، وقد آتت هذه الجهود أُكُلَها، وحقَّقتْ نتائجَ ذات قيمةٍ علميَّة. (بن بوفلجة، 2019: 99)

نجد ممَّا تقدَّم أنَّ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة تتقاطع في أهمِّ مبادئها مع التراث اللغويِّ العربيّ؛ إذْ بدأ (أوستين) تقسيمَه الخطابَ إلى قسميْن: الخبر والإنشاء، وهما القسمان الأساسيّان اللذان أشار إليهما اللغويون العرب الأوائل، فضلًا عن التقاطع في النظر إلى أغراض ودلالات الأساليب الخبريَّة والإنشائيَّة، وتجاوزها حدود المباشرة والمعنى الظاهريّ مع ما طرحَه (سيرل) منْ تقسيمٍ للفعل الكلاميِّ على أنَّه مُباشرٌ وغيْرُ مباشر.

المبْحث الثاني: التداوليَّة السِّياقيَّة في رائيَّة عُمر بنِ أبي ربيعة

عمرُ بنُ أبي ربيعة: هو أبو الخطَّاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، حُذيفة بن المُغيرة من بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة، كان جدُّه أبو ربيعة يلقَّب بـِ "ذي الرُّمْحيْن" لطوله، وكان يُقال: كأنَّه يمشي على رُمْحيْن، وقيل: إنَّه قاتلَ يوْم عُكاظٍ برُمْحيْن، فسُمِّي (ذا الرُّمْحيْن) لذلك، وكان والده عبد الله يسمَّى في الجاهلية (بَجيرا)؛ فسمَّاه رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم_ عبد الله، وكانت

قريش تلقّبه "العِدْل"؛ لأنَّها كانت تكسو الكعبة في الجاهليَّة بأجمعها من أموالها سنة، ويكسوها هو منْ مالِه سنة، فأرادوا بذلك أنَّه وحده عِدْل لهم جميعاً في ذلك.

وُلد عمر في السنة 23 للهجرة، في الليلة التي قُتِل فيها عمر بن الخطّاب على الأرجح، فقيل: "أيُّ حقٍّ رُفِع، وأيُّ باطلٍ وُضِع". ولا يُعرف بالتأكيد مكان ولادته؛ فقد يكون الجند في اليمن، وهي المدينة التي اتّخذها والده مقرًا لتجارته، أو مكة، وهي موطن العائلة، أو المدينة وهي مسرح نشأته. (ابن خلّكان، 2012، ج1: 353، 378)

وسنتجاوز في هذا المقام الحديث عن إنتاجِه الشعريّ، ونكتفي بشيءٍ ممَّا نقلَه مُحقِّقُ ديوانِه عن الذي نشره طه حسين حوله: "هو زعيم الغزليِّين منْ أهل الحَضَر في عصره، لا يختلف في ذلك الناس، وقد تحُسُّ فيما تقرؤه منْ أخبار هؤلاء الغزليِّين أنَّ الرُّواة كانوا يضعون عمر من أهل الحضر بإزاء جميلٍ منْ أهل البادية؛ فكأنَّ عمر كان زعيمَ الغزل الحَضَريِّ، بيْنما كان جميل زعيم الغزل البدوي، ولكنَّ شعر جميل قد ضاع ولم يبقَ لنا منه إلا شيء قليل جدًّا؛ فلم يبق سبيل إلى المقارنة بيْنه وبيْن عُمر الذي حفظ الدهر لنا شعرَه كلَّه أو أكثرَه، والذي استقامتْ لنا أخبارُه، وصحَّتْ لنا طائفةٌ من الحوادث المتّصلة بحياته؛ فأصبح من اليسير أنْ ندرسَه، وأنْ نُعلن فيه رأيًا صحيحًا أو مُقاربًا.(ديوان عمر بن أبي ربيعة، 1996: 10)

تُعَدُّ رائيَّة عمر منْ أشهر ما قاله. ومطلعُها:

أَمِــن آلِ نُعــمٍ أَنــتَ غادٍ فَمُبكِــرُ ... غَـــداةَ غَــدٍ أَم رائــحٌ فَمُهَجِّــرُ
لحاجَةِ نَفسٍ لَــم تَقُل في جَوابِــها ... فَتُبلِــغَ عُــذراً وَالمَقالَــةُ تُعــذِرُ

ولا يتَّسع المقام هنا لسرْدِ ما قيل حولها، غير أنَّنا سنذكر جانبًا ممَّا قاله صاحب الأغاني حول قصَّة إنشادها: "وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ وهو راكب، فوقف وما زال شانفًا ناقته حتى كتبت له" (الأصفهاني، 2000، ج1: 89) ومما ذكره المبرّد: " أنَّ نافعًا بن الأزرق سأل ابن عباس في المسجد حتى أملَّه وأضجره، فطلع عليه عمر فطلب إليه ابن عباس الإنشاد، فأنشده هذه القصيدة حتى أتمَّها وهي ثمانون بيتًا، فقال ابن الأزرق: لله أنت يا ابن عبَّاس، أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدِّين فتُعرض، ويأتيك غلامٌ منْ قريش فينشدك سفهًا فتسمعه! فقال: تالله ما سمعتُ سفهًا" (المبرد، 1997، ج3: 228–229).

إنَّ الخصائص التداوليَّة التي تميِّزُ التفاعل التواصليَّ تبتدئ بالتعدُّد السياقيِّ الذي يميِّز الأقوال، ممَّا يجعل القائلين لا يقفون عند القصد الإخباريّ للأقوال؛ بل يتعدَّون ذلك إلى معانٍ سياقيَّةٍ تداوليَّةٍ تحكم العلاقة بين أطراف الخطاب.

وتنقسم الرائيَّة إلى سياقاتٍ ثلاثة:

- **السِّياق الأوَّل:** تمثِّله الأبيات من الأول حتى الثامن عشر، وفيه يتحدث عن اعتزامه الرحلة إلى ديار محبوبته (نُعْم).
- **السِّياق الثاني:** يستغرق من القصيدة أربعةً وأربعين بيتًا (من البيت التاسع عشر حتى البيت الثاني والستين)، وفيه يتطرق للحديث عن الرحلة وعن مغامرته، وصولاً إلى محبوبته، ويدعوه ذلك للافتخار بنفسه على لسان غيره.
- **السِّياق الثالث:** يستغرق باقي القصيدة (من البيت الثالث والستين حتى نهاية القصيدة)، وقد خصَّصه الشاعر للناقة.

تُفتَتَحُ القصيدة بالاستفهام، وهو استفهامٌ أسلوبيٌّ نُطالع كثيرًا منه في الشِّعر الجاهليِّ، لا يحمل دلالة الاستفهام التقليديّ؛ بل يمكن أنْ نَعُدَّهُ خاصَّاً بافتتاحيّات القصيدة العربية القديمة؛ لكنَّه يظلُّ يحمل الوظيفة التوجيهيَّة التي يُريد المرسِلُ توجيه المتلقِّي إلى خطابه عبْرَها، وهو توجيهٌ إلى المكان والزمان في آنٍ معًا، يُفهَمُ منْ سياقه أنَّه موجَّهٌ إلى شخصٍ عارفٍ بأحوال (نُعْم) وديارها وقصَّة عِشقها، وهو هنا بعيدٌ عن الدّلالة المباشرة لضمير المُخاطَب، (أنت غادٍ، لم تقل، فتبلغ، تهيم، لك، أنت تصبر)، إذْ إنَّه سينكشف فيما بعد كإحالةٍ إلى المتكلم:

لَهــا كُلَّمــا لاقَيتُــها يَتَــنَــمَّرُ ... إذا زُرتُ نُعمــاً لَــم يَزَل ذو قَرابَةٍ

ثمَّ إلى ضمير الغائب:

يُسِرُّ لِيَ الشَحناءَ وَالبُغضُ مُظــهَرُ ... عَزيــزٌ عَلَيــهِ أَن أُلــمَّ ببَيتِــهــا

ثمَّ العودة إلى الجمْع بيْن ضمير المُخاطَب وضمير المتكلِّم مرَّة أخرى:

يُشَهِّــرُ إِلمــامي بهــا وَيُنَــكِّرُ ... أَلكنــي إِلَيهــا بالسَــلامِ فَإِنَّــهُ
بِمَــدفَــعِ أَكنــانٍ أَهَــذا المُشَــهَّرُ ... بِآيَــةِ مــا قالَــتَ غَــداةَ لَقيتُــه

إنَّ هذا التنقُّل الذي صنعه عمر ساردًا تاريخيَّة علاقتِه بـ (نُعْم)، وتبدُّلَ حاله بيْن الماضي والحاضر، والتنقُّلَ بيْن الشخوص التي وظَّفها في هذا المقطع من القصيدة يحمل في جوفِ دِلالة الاضطراب وعيًا متمكنًا في السرد، وتوجيه الدّلالة التي ينقلها لنا السَّرْدُ عبْر سياقاتٍ زمانيَّةٍ متفاوتة، وقد أدَّتْ الأفعال الكلاميَّة هنا دوْرَها في حمل الدّلالة: (لم تقل، فتبلغ، تعذر، تهيم، دنت، يسلي، تصبر) والانزياح بالنَّصِّ الشعريِّ منْ نصٍّ لفظيٍّ إمتاعيٍّ إلى نصٍّ قصديٍّ قادرٍ على توظيف اللُّغة في معانٍ سياقيَّةٍ تخدم الغاية والدّلالة؛ فتسبق توقع المتلقِّي، وتصدمه بالنتيجة التي يؤكدها الشاعر بقوله:

وَلا الحَبلُ مَوصولٌ وَلا القَلبُ مُقصِرٌ تَهيمُ إِلى نُعمٍ فَلا الشَملُ جامِع

وقد تكرَّر الاستفهام في غير موضع من القصيدة، حمل الاستفهام عبْرها دِلالةً غيْرَ مُباشرة:

قِفي فَانظُري أَسماءُ هَل تَعرفينَ؟ أهذا المشهر؟ أهَذا المُغيريِّ الّذي كانَ يُذكَرُ؟ أَهذا الّذي أَطرَيتِ نَعتاً؟ فَوَ اللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ؟ فَقالَت أَتَحقيقاً لِما قالَ كاشِحٌ؟ كيف لما آتي من الأمر مصدر؟ ألم تخف؟ ألم تتق الأعداء؟ أهذا دأبك الدهر؟ وما أدري أما بعد موردي من الليل؟ أم ما قد مضى منه أكثر؟

وقد تباينت الدّلالات المباشرة للاستفهام مع الدّلالات السياقيَّة التي انزاحتْ إلى معنىً غيرِ مُباشر، يؤكِّده كثافة المعلومات التي قدَّمها الشاعر قبل الاستفهام وفي أثنائه وبعْدَه، وما يحمله المرسل إليه من معرفةٍ مُسبَقة.

وأمَّا في المستوى الاستعاريِّ والكنائيِّ فقد زخرت الرَّائيَّة بانزياحاتٍ استعاريَّةٍ وكنائيَّةٍ عن الدّلالاتِ المباشرة؛ إذ استعار فعل الإحياء لـ (سرى الليل)، وكنَّى عن ترحاله الدائم بـ (أخا سفر)، كما كنَّى عن نُحول جسدِه بـ (قليلًا على ظهر المطية ظلّه)، وهي دِلالاتٌ لا يمكن أنْ تكون مباشرة؛ بل يقود إليها سياقٌ ضمني:

أَهَذا المُغيريُّ الّذي كانَ يُذكَرُ	**قِفي فَانظُري أَسماءُ هَل تَعرفينَهُ**
وَعَيشُكِ أَنساهُ إِلى يَومِ أُقبَرُ	**أَهَذا الّذي أَطرَيتِ نَعتاً فَلَم أَكُن**
سُرى اللَيلِ يُحيي نَصَّهُ وَالتَهَجُّرُ	**فَقالَت نَعَم لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ**
عَنِ العَهدِ وَالإِنسانُ قَد يَتَغَيَّرُ	**لَئِن كانَ إِيّاهُ لَقَد حالَ بَعدَنا**
فَيَضحى وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ	**رَأَت رَجُلاً أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت**
بِهِ فَلَواتٌ فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ	**أَخا سَفَرٍ جَوّابَ أَرضٍ تَقاذَفَت**
سِوى ما نَفى عَنهُ الرداءُ المُحَبَّرُ	**قَليلاً عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ**

كما وقعت الاستعارة في مواضعَ أخرى، مثل: مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنّي، وَخُفِّضَ عَنّي النَومُ، فَقُلتُ لَها بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى، كما كنَّى عن صعوبة ما يرجو بـ (وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ)

وَقَد يَجشَمُ الهَولَ المُحِبُّ المُغَرِّرُ	**وَلَيلَةَ ذي دَورانَ جَشَّمتِني السُرى**
أُحاذِرُ مِنهُم مَن يَطوفُ وَأَنظُرُ	**فَبِتُّ رَقيباً لِلرِفاقِ عَلى شَفا**
وَلي مَجلِسٌ لَولا اللُبانَةُ أَوعَرُ	**إِلَيهِم مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ**
لِطارِقِ لَيلٍ أَو لِمَن جاءَ مُعوِرُ	**وَباتَت قَلوصي بِالعَراءِ وَرَحلُها**
وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ	**وَبِتُّ أُناجي النَفسَ أَينَ خِباؤُها**
لَها وَهَوى النَفسِ الَّذي كادَ يَظهَرُ	**فَدَلَّ عَلَيها القَلبُ رَيّا عَرَفتُها**
مَصابيحُ شُبِّبَت في العِشاءِ وَأَنوَرُ	**فَلَمّا فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم وَأُطفِئَت**
وَرَوَّحَ رُعيانٌ وَنَمَّ سُمَّرُ	**وَغابَ قُمَيرٌ كُنتُ أَرجو غُيوبَهُ**
حُبابٍ وَرُكني خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ	**وَخُفِّضَ عَنّي النَومُ أَقبَلتُ مِشيَةَ الـ**
وَكادَت بِمَخفوضِ التَحِيَّةِ تَجهَرُ	**فَحَيَّيتُ إِذ فاجَأتُها فَتَوَلَّهَت**
وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ	**وَقالَت وَعَضَّت بِالبَنانِ فَضَحتَني**
وُقيتَ وَحَولي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ	**أَرَيتَكَ إِذ هُنا عَلَيكَ أَلَم تَخَف**
سَرَت بِكَ أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ	**فَوَ اللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ**
إِلَيكِ وَما عَينٌ مِنَ الناسِ تَنظُرُ	**فَقُلتُ لَها بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى**

لا يخفى هنا كوْن القرينة اللغويَّة في قوله: (يستمكن النوم منهم) توجه السامع بعيدًا عن قبول المعنى الحرفيِّ المُعجميِّ لكلمة (يستمكن)، وانطلاقاً منْ مبدأ التعاون القائم عليه الحوار لا يجد المستقبل بُدًّا من البحث عمَّا وراء الكلام من معانٍ استلزاميَّة.
وتفعيلًا لمبدأ الكفاءة اللغوية يتعذر على المتلقِّي حمْل فعْل الاستمكان على ظاهره؛ إذْ إنَّ المعنى الحرفيَّ لهذا الفعل يمثِّله الظَّفَرُ بالشيء، والتمكُّن منه، والقدرة عليْه، قدرة ناجمةً عنْ سلطانٍ وقوَّة.
إنَّ سرَّ لجوء المتحدِّث إلى الأسلوب الاستعاريِّ (يستمكن النوم منهم) ليس سوى وثوقِه الكامل في كفاءة المستقبل اللغويَّة، وقدرته التأويليَّة، وأنَّ هذا المتلقِّي مأمولٌ فيه أنْ يكون قادرًا على فهْم المعنى غير الحرفيِّ لجُملة (يستمكن النوم منهم)؛ فالمتكلِّم يريد هنا أنْ يُصوِّرَ تمكُّنَ النوْم منْ قوْم (نُعْم) تمكُّنَ ذي السُّلطان منْ ذي جنايةٍ ذليل.
وفي استعارته قيادة الشوق له لا يمكن بحال الفهم الحرفيّ لِدلالة الفعل (قاد)؛ بل إنَّه المعنى الضمنيُّ الذي أدَّتْه الاستعارة للشوْق، والشَّاعر هنا يتَّكئ على فرضيَّةٍ مُسْبقةٍ حولَ قدرة المتلقِّي على فهْم هذه الدِّلالة الضمنيَّة، واستشعار أثرِها دون الإخلال بجماليَّتها، وقدرته على تذوُّقها.
إنَّ المُقاربة التداوليَّة في رائيَّة عمر بن أبي ربيعة يمكن أنْ تستغرق بحثًا مطوَّلًا لما فيها من انزياحاتٍ دِلاليَّةٍ استعملت الأساليب اللغويَّة المختلفة، وصنعتْ معنىً باطنيًا لجُمَلِها ومفرداتِها، وقد جاء هذا البحث محاولةً للإضاءة على أهمِّ ما يُمكن ملاحظته في إطار المُقاربة التداوليَّة في دراسة هذه القصيدة وتحليلها.

الخاتمة:

لقد اعتنى البحث بفهْم رائيَّة عمر بن أبي ربيعة في سياق التداوليَّة ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة، وخلَص إلى عددٍ منَ النتائج والتوْصيات:

النتائج:

- توصَّل البحث إلى أنَّ سياق النَّصِّ ودائرة مكوِّنات الخطاب تشكِّل فهْمًا مُختلفًا عن الفهْم الظاهريِّ لِكلمات النَّصِّ وجُمَلِه وهو ما يمثل جوهر التداوليَّة بوصفها منْهجًا بحثيًا.
- تعدُّ رائيَّة عمر بن أبي ربيعة واحدةً من النَّماذج النصيَّة التي تحمل دِلالاتُها أبعادًا تداوليَّةً تنزاح إليها الأساليبُ اللغويَّة والبلاغيَّة والمُعجميَّة.
- يمكن عبر التحليل التداوليِّ للنُّصوص الكشف عن إشاراتِ النَّصِّ واستعارته وغموضِه.

التوصيات:

يوصي البحث بالاهتمام بالدِّراسات التداوليَّة وتكثيفها في إطار فهْم المنتَج الأدبيِّ العربيّ لما لها من أثرٍ في سبْر أغوار النُّصوص وفهْم دِلالاتِها الضمْنيَّة.

المَصادر والمَراجع باللغة العربية:

- أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، دت، المغرب.
- بلخير، عمر، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، مجلة الأثر، عدد خاص أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، الجزائر، ج1، ص 67-75.
- بوجادي، خليفة. (2009). في اللسانيات التداوليَّة، مع محاولة تأصيليَّة في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بن بوفلجة، محمد. (2019). الأبعاد التداوليَّة في توجيه الخطاب الدعويّ في القرآن الكريم، مُقاربة في آليَّات الحجاج وبلاغة الإقناع، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، الجزائر.
- سليمان، فتح الله. (2004). الأسلوبيَّة، مدخلٌ نظريٌّ ودراسةٌ تطبيقيَّة، مكتبة الآداب، القاهرة.
- شاهين، أحمد. (2015) النظريَّة التداوليَّة وأثرُها في الدِّراسات النحويَّة المُعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- علوي، حافظ. (2011). علم استعمال اللغة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- علي، محمد. (2004). مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت.
- عمر، أحمد. (1998). علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة.

- عيساوي، خالد. (2015). الخطاب الإشهاريّ بيْن البُعد التداوليّ وسلطة النَّص، بحث منشور ضمن كتاب: التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، القاهرة.
- صراف، على. (2010). في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجميَّة سياقيّة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.
- مسدِّي، عبد السلام. (1982). الأسلوبيَّة والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
- متوكل، أحمد. (2010). اللسانيات الوظيفيَّة، مدخل نظري، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- متوكل، أحمد. (2006). المنحى الوظيفي في الفكر اللغويّ العربي، ط1، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط.
- نحلة، محمود. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (دط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

References:

- Armenco, Françoise, The Pragmatic Approach (in Arabic), translated by: Saeed Alloush, National Development Center, DT, DT, Morocco.(in Arabic)
- Ali, Muhammad (2004). Introduction to the Sciences of Semantics and Communication (in Arabic), 1st edition, New United Book House, Beirut. .(in Arabic)
- Alawi, Hafez. (2011). Science of Language Use (in Arabic), 1st edition, Modern World of Books, Jordan. .(in Arabic)
- Belkheir, Omar, The Theory of Speech Acts and Rereading the Arab Heritage (in Arabic), Al-Athar Magazine, special issue, Proceedings of the Third International Forum on Discourse Analysis, Algeria, vol. 1, pp. 67-75..(in Arabic)
- Boujadi, Khalifa. (2009). In pragmatic linguistics, with an authentic attempt in the ancient Arabic lesson (in Arabic), 1st edition, House of Wisdom for Publishing and Distribution, Algeria. (in Arabic)
- Bin Bouflaja, Muhammad. (2019). Pragmatic dimensions in directing advocacy discourse in the Holy Qur'an, an approach to the mechanisms of pilgrims and the rhetoric of persuasion (in Arabic), unpublished doctoral thesis, Djilali Liabes University/Sidi Bel Abbes, Algeria..(in Arabic)
- Issawi, Khaled. (2015). Advertising discourse between the pragmatic dimension and the authority of the text (in Arabic), research published in the book: Pragmatics: Shades of the Concept and Its Horizons, Modern World of Books, Cairo. (in Arabic)
- Mutawakkil, Ahmed. (2010). Functional linguistics, a theoretical introduction (in Arabic), 2nd edition, United New Book House, Beirut. .(in Arabic)
- Mutawakkil, Ahmed. (2006). The Functional Orientation in Arabic Linguistic Thought (in Arabic), 1st edition, Origins and Extension, Dar Al-Aman, Rabat. (in Arabic)
- Masadi, Abdul Salam. (1982). Stylistics and style (in Arabic), 3rd edition, Arab Book House, Libya. (in Arabic) Nahla, Mahmoud. (2002). New Horizons in Contemporary Linguistic Research (in Arabic), (Ed.), University Knowledge House, Alexandria. .(in Arabic)
- Omar, Ahmed. (1998). Semantics (in Arabic), 5th edition, Alam al-Kutub, Cairo. (in Arabic)
- Suleiman, Fathallah. (2004). Stylistics, a theoretical introduction and applied study (in Arabic), Library of Arts, Cairo.(in Arabic)
- Shaheen, Ahmed. (2015) Pragmatic theory and its impact on contemporary grammatical studies (in Arabic), Modern World of Books, Jordan. (in Arabic)
- Sarraf, Ali. (2010). In Pragmatics, Performative Verbs in Contemporary Arabic, A Contextual Semantic and Lexical Study (in Arabic), 1st edition, Library of Arts, Cairo. (in Arabic)